



تبـدوـ الجـملـةـ التـيـ أـطـلـقـهـاـ وزـيـرـ الدـفـاعـ الـأـمـيرـكـيـ، جـيـمـسـ مـاتـيسـ، قـطـعـيـةـ الدـلـالـةـ فـيـ ماـ خـصـ بـقـاءـ الـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ التـيـ تـلـيـ إـلـيـ إـلـجـاهـاـ عـلـىـ تـنـظـيـمـ الـدـوـلـةـ إـلـسـلـامـيـةـ (ـدـاعـشـ)، فـقـولـهـ عـلـىـ نـحـوـ مـاـ نـقـلـتـهـ صـحـيـفـةـ وـاـشـنـطـنـ بـوـسـتـ "ـلـنـ نـغـادـرـ مـبـاـشـرـةـ قـبـلـ تـوـصـلـ إـلـىـ تـسـوـيـةـ بـيـنـ النـظـامـ وـالـمـعـارـضـةـ"ـ يـشـيـ بـتـوـفـرـ خـطـةـ أـمـيرـكـيـةـ غـيـرـ مـعـلـنـ عـنـ تـفـاصـيـلـهـاـ، لـجـهـةـ الـبـقـاءـ فـيـ سـورـيـةـ، فـيـ الـمـرـحـلـةـ التـيـ تـلـيـ إـلـيـ إـلـجـاهـاـ عـلـىـ "ـدـاعـشـ"ـ بـشـكـلـ مـبـرـمـ.

يـلـقـيـ الـحـضـورـ الـأـمـيرـكـيـ عـبـرـ التـحـالـفـ الدـوـلـيـ لـمـحـارـبـةـ "ـدـاعـشـ"ـ قـبـلـاـ فـيـ الشـمـالـ السـوـرـيـ، إـذـ لـاـ تـوـجـدـ أـيـ قـوـةـ تـعـرـضـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـجـودـ أـوـ تـرـفـضـهـ، لـاـسـيـمـاـ وـأـنـ قـوـاتـ سـورـيـةـ الـدـيـمـقـرـاطـيـةـ (ـقـسـدـ)ـ توـفـرـ أـلـأـرـضـيـةـ الـمـلـائـمـةـ لـبـقـاءـ الـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ، حـيـثـ أـنـ هـذـهـ الـقـوـاتـ بـاتـتـ تـحـكـرـ الـحـقـ الـحـصـرـيـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـتـعـاـونـ مـعـ أـمـيرـكـاـ وـقـوـاتـ التـحـالـفـ فـيـ مـجـالـ مـكـافـحـةـ إـلـرـهـابـ، وـالـذـيـ قـدـ يـمـتـدـ إـلـىـ مـجـالـاتـ أـخـرـىـ.

لـاـ تـدـلـ الـمـؤـشـرـاتـ الـأـوـلـيـةـ إـلـىـ رـغـبـةـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ الـانـسـاحـابـ مـنـ مـوـقـعـهاـ الـمـرـيـخـ فـيـ سـورـيـةـ، وـالـبـالـغـ التـأـثـيرـ عـلـىـ مـسـتـقـبـلـ الـحـكـمـ الـمـقـبـلـ وـشـكـلـهـ، بلـ وـفـيـ خـطـوـةـ غـيـرـ مـسـبـوـقـةـ، صـرـحـ مـسـؤـولـوـنـ أـمـيرـكـيـوـنـ إـنـ أـعـدـاـتـ الـعـسـكـرـيـوـنـ وـالـمـسـتـشـارـيـوـنـ وـالـمـدـرـبـيـوـنـ سـتـصـلـ إـلـىـ أـلـفـيـ جـنـديـ أـمـيرـكـيـ، فـيـ حـينـ كـانـ العـدـدـ السـاـبـقـ وـالـمـعـتـمـدـ هـوـ خـمـسـمـائـةـ عـسـكـرـيـ. وـيـأـتـيـ هـذـاـ الـكـشـفـ الـأـمـيرـكـيـ لـعـدـيـدـ الـقـوـاتـ الـعـالـمـةـ إـلـىـ طـبـيـعـةـ بـرـنـامـجـ حـصـرـ الـقـوـاتـ، وـإـحـصـائـهـ بـدـقـةـ، وـالـمـعـرـفـ باـسـمـ "ـفـورـسـ مـانـجـمـنـتـ لـيـفـلـ"ـ الـذـيـ سـبـقـ إـلـاـدـارـةـ الرـئـيـسـ السـاـبـقـ، بـارـاـكـ أـوـبـاـمـاـ، أـنـ اـتـبـعـتـهـ فـيـ عـرـاقـ وـسـوـرـيـةـ، بـغـيـةـ مـراـقـبـةـ الـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ الـعـالـمـةـ خـارـجـ الـأـرـاضـيـ الـأـمـيرـكـيـةـ.

يعـزـزـ مـنـ فـرـضـيـةـ بـقـاءـ الـقـوـاتـ الـأـمـيرـكـيـةـ فـيـ سـورـيـةـ قـلـةـ الـأـكـلـافـ الـتـيـ تـتـكـبـدـهـاـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ، فـالـكـلـفـةـ الـمـادـيـةـ لـيـسـتـ ذاتـ أـثـرـ بـالـغـ، وـالـبـشـرـيـةـ تـكـادـ تـكـوـنـ مـعـدـوـمـةـ، وـالـحـدـيـثـ هـنـاـ عـنـ "ـصـفـرـ قـتـيلـ أـمـيرـكـيـ"ـ فـيـ سـورـيـةـ، مـنـذـ بـدـءـ حـمـلـةـ التـحـالـفـ الدـوـلـيـ ضـدـ "ـدـاعـشـ"ـ، يـؤـكـدـ صـوـابـ القـوـلـ الفـائـلـ إـنـ أـمـيرـكـاـ وـحـلـفـاءـهـ عـازـمـونـ عـلـىـ الـبـقـاءـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـتـيـ اـنـتـزـعـوـهـاـ مـنـ تـنـظـيـمـ دـاعـشـ،

بالاعتماد على "قسد" في ظل انعدام وجود أي قوة ترغّبها على الانسحاب، هذا فضلاً عن الهمس الذي بدأ يتعالى داخل الإدارة الأميركيّة حول خطأ الانسحاب من دون تعزيز دور السكّان المحليّين في حكم المناطق الخارجة عن سيطرة "داعش"، والتي باتت إيران عبر مليشياتها المذهبية تملؤها تباعاً. ويؤكّد المشهد العراقي ما بعد "داعش" صحة هذا الزعم الأميركي، وإن كان وزير الخارجية الأميركي، ريكاردو بيلرسون، قد قلل، في وقت سابق، من شأن إيران، عبر وصفه إياها بـ"المتطفلة" في معرض وصفه مزاعمها بمحاربة تنظيم داعش، إلا أنه أكد بأن إيران هي "الطرف المستفيد" في سوريا.

يمكن قراءة هذا التطور في التصريحات الرسمية الأميركيّة بأنّها في باب ما ترمي إلى فرض حضورها مجدّداً، بعد أن أنشأت روسيا حلفاً جديداً جاماً لما يمكن أن تسميه حلف الأصدقاء الإقليميين، حيث إيران وتركيا في صفي واحد، وإن كان الاختلاف ماثلاً في تصوّرات هاتين القوتين، لجهة تفسير الأزمة وشكل الحل. إلى ذلك، تسعى تركيا إلى الابتعاد عن المنهج الذي رسمته الحكومة التركية بداية الثورة السورية، والمتمثل بخيار إسقاط نظام بشار الأسد، واستبداله بإسقاط مشروع حزب الاتحاد الديمقراطي، الشريك الرسمي، بل المؤسس الفعلي لقوات سوريا الديموقراطية (قسد) وعقله المدبر. وفي إزاء ذلك، تسعى إيران إلى إيجاد ربط جغرافي مكين بين الأراضي العراقية وال叙利亚، وتمّنّ هذه الأمور وسوها دور روسيا تقدماً على غريمها الأميركي، ونقطة إضافية تحسب لصالح روسيا التي أجادت ربط الفاعلين في المشهد السوري ببعضهم إلى بعض، عبر لعبة التنازلات المتبادلة للأطراف، والتي قد تتضاد أكثر في مؤتمر سوتشي للحوار، الذي تهدّد منعّصات من قبل حضور حزب الاتحاد الديمقراطي، الواجهة السياسيّة لوحدات حماية الشعب (الكردية) ما يزيد من إحجام تركيا التي ما فتئت أن هجرت حليفها الأميركي الذي تقدّم من أزر وحدات حماية الشعب وـ"قسد". وبالتالي، قد تشكّل مسألة حضور غريم تركيا في مؤتمر كهذا بدايةً لخلافٍ مقبلٍ بين روسيا وتركيا، لكن الخلاف المتوقّع هذا لن يعيد تركيا إلى أميركا التي يبدو أنها حسمت موقفها الداعم لـ"قسد".

تشد هذه التحرّكات الروسيّة التركية الإيرانية المشتركة من عصب أميركا، وتضعها أمام سياسة عمادها الإصرار على دعم "قسد" في ظل غياب شركاء فعليين يدعمون السياسة الأميركيّة في المنطقة، وبالتالي البقاء في سوريا إلى أن تتم التسوية السياسيّة الكبّرى.

لا تعمد الولايات المتحدة إلى إنشاء كيان كردي في سوريا على غرار كردستان العراق، إلا أنها في ظل عملية التفاضل داخل سوريا لا تجد طرفاً أكثر ثقة في التعامل، وكذلك ثقلاً بقدر "قسد" بتكوينه الكردي - العربي الحالي. إلى ذلك تعرف "قسد" ومن خلفها الاتحاد الديمقراطي أن أميركا لن تقدم على خطوات "صفرية"، بمعنى أن تتركها في مرمى نيران تركيا والنظام وإيران وأظافرها الناشبة في جسد سوريا. وقد يمكن قول إن أفضل ما تقدّمه أميركا للأكراد وـ"قسد"، وكذا أفضل ما يمكن أن يتوقّعه الأكراد هو أن تمنّح أميركا الأكراد فرصة أن يكونوا جزءاً من العملية السياسيّة المقبّلة، وأن يمنحوا فرصتهم في الحضور الدولي والإقليمي، باعتبارها قوى ساهمت في دحر "داعش" وقوّة مكافحة للنظام السوري.

في الأفق، لا يبدو أن القوات الأميركيّة ستخلّى عن حليفتها "قسد"، لأنّها ليست مقبلة على الانسحاب في المرحلة التي تلي هزيمة "داعش" المبرمة؛ فقد يخفّ عديد القوات الأميركيّة العاملة على الأرض، أو قد يزداد في شكلٍ طفيف، إلا أنه من المستبعد أن تتصوّر الأميركيّان وقد تركوا الحبل على الغارب، بالشكل الذي يسمح لإيران أن تشكّل إمبراطوريتها الإقليمية، أو بالشكل الذي يسمح لتركيا بأن تجّنح أكثر في مسيرة مشاكسنة مصالح أميركا في المنطقة، وتبدل تحالفاتها كيّفما تشاء، وأيضاً ليس في مصلحة أميركا أن تهب سوريا الهشّة هذه إلى الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وبالتالي تطويه مالكا حسرياً لواحدة من أهم المناطق في شرق المتوسط.

المصادر:

العربي الجديد